الإرهاب الناعم..!!

انخـراط النسـاء في صفوف تنظيم القاعدة الارهابي.. ظاهرة غريبة علـى المجتمع اليمني والعربي عموماً.. لأن خطوة كهـذه تعد نوعاً من الانتحار الذي لا يتناسب وعاطفة المرأة الغريزية تجاه الحياة إحمالاً..

لكن الجديد اللافت هذه المرة هو انكشـاف اسـتراتيجية جديدة بالنسـبة للقاعدة تظهر تحولاً فكرياً في البنية الأيديولوجية للتنظيم.. وبين الأمرين حُزن وكمد تتجرع مرارته نساء إما خلف القضبان أو في فيافي الملاحقات الأمنية..

تحقيق/ أسماء البزّاز

يتحكم تنظيم القاعدة في نفوذ متعدد الأذرع على كافة أنحاء العالم تضررت منه شعوب وانهارت أخرى،لما يصنعه من ويلات عبر عملياته الانتحارية هنا وهناك، والذي كان لليمن منها الحظ الأبرز والأكبر على مستوى حصاد الأرواح وتدمير للبنى التحتية والتشريد والدمار,الغريب الجديد والمثير للدهشة والحسرة هذه المرة هو أن بعض الأعمال الانتحارية المنظمة أو المنفذة من قبل القاعدة تنفذها أو تسهل تنفيذها النساء واللواتي لهن رتبهن ومنازلهن الكبيرة في صفوفها، باعتبار ذلك أعظم أنواع الجهاد طبقاً لأدبيات وفكر هذا التنظيم الخطير في ظاهرة تظل في تفاقم لأعداد المنتميات إليه وغموض يعجز عن تفسيره الباحثون في مجال الجماعات الإسلامية المتطرفة.!!

وبين الأسباب والنتائج إما نيل الشهادة بحسب الأيديولوجية القائمة في منظومتهن ومنظورهن الفكري أو الأسري والزج بهن خلف القضبان والارتهان على يد السلطات الأمنية، ناقشت الثورة أبعاد هذا التغير الحاصل في استراتيجية القاعدة

يبدو الحديث عن نون النسوة ضمن خلايا تنظيم القاعدة الإرهابي واضحاً في السجال الذي دخله التنظيم في اليمن مع المملكة العربية السعودية وتحديداً في قضية القنصل السعودي المختطف لدى التنظيم حتى اليوم.. والذي يقول مختطفوه إنهم لن يطلقوا سراحه إلا بعد إفراج المملكة عن إرهابيات سعوديات يقبعن في السجن بتهمة الانتماء لتنظيم القاعدة الإرهابي..مما يعزز عملية التحول الأيديولوجي التي طرأت على التنظيم باستخدام النساء في العمليات الإرهابية.

حسناء.. وسجن الرصافة.

وبهذا الصدد نعرض قصة الفتاة اليمنية حسناء علي يحيى تحكي فصلاً حزيناً - شابة في مقتبل العمر لها من الأحلام والآمال ما تتمناه كل فتاة من مستقبل رائع مزدهر ينتظرها،وحياة تبدد حالة الفقر واليتم التي تكابدها في حياتها وبينما هي على تلك الحال من التفكير بآمال عراض حتى جاء إلى أسرتها رجلٌ من أخطر عناصر القاعدة المطلوب أمنيا وهو أبو أيوب المصري الذي طالما سمعت عنه حسناء عبر المذياع ولم تكن تتوقع أنه ذاك الرجل نفسه الذي تقدم لخطبتها باسم وجواز مزور وفي كل مرة يأتي بها إلى اليمن ليأخذها بعد ذلك إلى بغدد لينتهي بها المطاف في سجن الرصافة بالعاصمة العراقية بعد أن حُكم عليها بالسجن لمدة 30 سنة بتهمة الإرهاب.!!

وتواجه حسناء اليوم أصعب أنواع المعاناة بعد أن نهشت جسدها مختلف الأمراض بحسب إفادة المحامين والمتابعين لقضيتها وهذا ما أكده عبدالله مفلح -سفير بلادنا ببغداد- بعد أن قام بزيارة قصيرة لحسناء علي يحيى قبل شهر وأفاد بأنها تعيش في ظروف صحية ونفسية سيئة للغاية،فالقاعدة لا تصنع غير المآسي حتى لأعضائها.!!

30 عاماً في السجن

وحول ملف حسناء المتهمة بالإرهاب بيّن لنا الأخ عبدالرحمن برمان –رئيس منظمة هود (الهيئة العامة للدفاع عن الحقوق والحريات)- : أن أبو أيوب المصري أحد زعماء القاعدة المطلوبين كان مدرساً في محافظة ذمار باسم مزور وموظفاً في وزارة التربية والتعليم آنذاك ارتبط بحسناء بعد أن شهد لأسرتها بعض الأشخاص أنه رجل تقي ورع ونتيجة لظروف حسناء المعيشية الصعبة مقارنة بحال أبو أيوب وافقت أسرتها ومن ثم سافر بها إلى بغداد بعد التحايل عليها ومن ثم نصبته القاعدة مكان الزرقاوي بعد وفاته ولكن السلطات الأمنية العراقية تصيدت حسناء بعد أن وضعها المصري في الواجهة ولاذ بالفرار !!

ويقول برمان في حديثة: تمت بعد ذلك المحاكمة لحسناء بعد أن حُكم عليها بالمؤبد ومؤخرا تم تخفيف الحكم إلى حبسها 30 عاما

وتبدو الصورة أكثر وضوحاً في قضية الشابة دموع من خلال المحامي حميد الحجيلي الذي يتولى الدفاع عنها،زوجها في الأصل أردني ومنتم إلى إحدى الجماعات المسلحة الإرهابية وهيَ من أب يمني الأصل وأم عراقية ولكن زوجها الإرهابي جندها في أعماله الإرهابية،حيث زج بها في عملية تفجيرية استهدفت مسجدا بحقيبة ممتلئة بالمتفجرات وخلفت خسائر كبيرة في الأرواح بعد أن فجر زوجها الحقيبة من بعد ولاذ بالفرار ويقول المحامي الحجيلي لكن «دموع» سقطت رهينة الاعتقال على يد السلطات الأمنية العراقية لتتجرع حالة مأساوية غاية في الألم والحسرة بكل ما تعنيه الكلمة من أسى !!

رُتب نساء القاعدة

أخريات كثر من النساء في صفوف القاعدة أمثال وفـاء الشهـري الملقبة بأم هاجر الأزدية، وتعتبر من أشهر نساء القاعدة في اليمن وهي زوجة سعيد الشهري الرجل المطلوب أمنيا رقم 63 في قائمة الـ85 بالمملكة العربية السعودية وهي مطلوبة أمنيا من قبل السعودية واليمن, وكذا الزعيمة هيلـة القصـير المعروفة بـ «أم الرباب» –45 عاما- أشارت مصادر سعودية إلى أن هيلة تعد أخطر سيدة في تنظيم القاعدة، حيث ساهمت في تجنيد نساء وجمع الأموال وتورطت في تحويل أموال ومبالغ مالية إلى تنظيم القاعدة في اليمن عبر عمليات غسيل أموال وكانت وزارة الداخلية السعودية أعلنت في بيان سابق لها عن تفكيك خلايا إرهابية واعتقال 113 شخصا بينهم امرأة، وذكرت أن هناك نساء في القاعدة يقمن بأدوار لوجستية من خلال موقع الخنساء الإلكتروني والإشراف على تدريب المجاهدات التابعات لتنظيم القاعدة

قانونيون: لا يوجد في اليمن قانون للإرهاب، بل أجهزة عقابية ذات طابع سياسي للجنسين.

محللون سياسيون: إقحام النساء في أدوار إرهابية مؤشر على تحولات فكرية .

الجهل والأوضاع الاقتصادية المتردية.. والعنف المجتمعي أسباب رئيسية.

وتؤكد إحصائية حديثة أن 40 % من المواقع الدعوية لتنظيم القاعدة تديرها نساء قاعديات، الأمر الذي يثير جملة من التساؤلات حول النقلة النوعية والاستراتيجية الجديدة للتنظيم !!

الارهابيات في القانون اليمني

في هذا الإطار يتحدث من جامعة صنعاء المستشار القانوني الدكتور أحمد الأديمي حول عقوبة الانتماء أو التسهيل والتستر لأي عنصر من عناصر القاعدة وبيان عقوبة ذلك على المرأة على وجه التحديد باعتبارها مشاركة في الجرم وإن لم تفعله طبقاً لشروط ومعايير أوضحها القانون اليمني، مبينا أن اشتراك المرأة في التنظيمات الإرهابية والعقوبات المقررة لها في حالة المباشرة أو الاشتراك أو المساهمة يوقعها تحت طائلة ما يقع على الرجل من عقوبة.

لكن قبل معرفة ذلك لا بد أن نعرف أن اليمن كغيرها من الدول العربية رغم أنها لا تملك قانونا خاصا بالإرهاب ولا تعريفا له بقوانينها إلا أنها أنشأت أجهزة عقابية لجرائم الإرهاب تتخذ الشكل السياسي أكثر من القانوني الذي يكاد يكون منعدماً ومن ذلك أجهزة إدارية تتبع الجهات الأمنية، إضافة إلى جهات قضائية تتمثل بالمحاكم الجزائية المتخصصة والتي يأتي في أول اختصاصاتها الاختصاص بالجرائم ذات الخطر العام أو التي يحددها النائب العام بقرار منه.

ويضيف: ووفقا لما سلف فإن الجرائم الإرهابية يجب أن يكون لها طابع من الخطر العام أو يحددها النائب العام غير أن وجهة نظري أن جرائم الحرابة هي ما ينطبق عليها وصف جرائم الإرهاب بالمعنى الخاص.

وأوضح أن عقوبة المرأة المنظمة لتنظيم إرهابي مثلها مثل الرجل في العقوبة فعقوبة الجريمة واحدة لا فرق فيها بين رجل وامرأة إلا فيما يتعلق بالسلطة التقديرية للقاضي الجنائي في بحث الجريمة لتخفيف أو تشديد الجريمة، وفي العقوبة قد تراعى المرأة في حالات ويتم تأخير تنفيذ العقوبة مراعاة لوضعها كامرأة فمثلا إن كانت حاملاً فلا تعدم إلا بعد أن تضع وترضع طفلها المدة الشرعية للرضاعة.

الاخفاء والمساهمة

وأشار الأديمي إلى أن القانون اليمني فرق بين عقوبة النساء في حالة الاشتراك بالمساهمة الجنائية في التنظيمات الإرهابية وبين المباشرة والتي تعني أن يقوم بالجريمة المباشرة بفعله أو بالاشتراك بالمساعدة، فتلك الصور الثلاث يعد الفاعل فيها مباشرا، وبيّن أن المساهمة الجنائية وهي الأفعال التي إما أن تكون سابقة للفعل الإجرامي مثل الأعمال التحضيرية والتمهيدية للجريمة أو الأفعال المصاحبة واللاحقة للجريمة والتي تتمثل في إخفاء الجريمة أو مرتكبيها وبالتالي فإن القانون يعاقب الفاعل المباشر بالعقوبة الأصلية للجريمة أما الأفعال التي تمثل مساهمة جنائية فالقانون يوقع عليها عقوبات مختلفة.

وتابع الأديمي حديثه قائلا: وبالنسبة لأسباب ازدياد انخراط النساء في التنظيمات الإرهابية فذلك التنظيم ينطلق من منطلق عقائدي متعصب، وبالتالي فالمجتمع اليمني كمجتمع محافظ يستغله أولئك الإرهابيون لاستقطاب الرجال والنساء على حد سواء ويعد نوعا من الجهاد وحملهم على الانخراط فيه،ولعل هذا السبب الوحيد الذي يستطيعون من خلاله استقطاب النساء وإن كانت هناك حالات أخرى غير أنها نادرة تتمثل بإجبار بعض النساء من قبل الإرهابيين للقيام بأعمال تسهيلية أو غيرها في عملية أو عمليتين تحت التهديد والاستغلال، ومن وجهة نظري أن عدد المنخرطات النساء في تنظيم القاعدة ليس عدداً متزايداً ولا يمثل ظاهرة ومعظم من يتم الإمساك بهن إما أن يكن زوجات لأعضاء التنظيم أو من نسائه

من العنف إلى الموت!!

ومن جهتها أوضحت المحللة السياسية والأكاديمية الدكتورة سعاد سالم السبع: أن انخراط النساء في القاعدة ظاهرة غريبة على المجتمع العربي، ولا أظن أن من تلتحق بهذا التنظيم امرأة عادية أو حتى سوية , ربما يكون هذا الالتحاق نوعا من الانتحار و قد يكون السبب تعرض الملتحقة لصدمة تفقدها غريزتها العاطفية وعقلها وبالتالي تنحرف في هذا الاتجاه وقد يكون الموضوع تمويها على الأعضاء بإشاعة أن هناك عضوات من النساء.

مبينة أن المرأة بطبيعتها عاطفية تكره العنف ولا تنحرف إلى مثل هذا التنظيم إلا إذا كانت كارهة لحياتها أو واقعة تحت ضغط كبير كالموت مثلا أو أي عنف يجعل الذهاب إلى الموت أرحم من مواجهة العنف المهددة به، وربما ما يدفع التنظيم إلى استخدام النساء هو ملاحقتهم وانكشاف أمرهم ومعرفتهم أن المرأة العربية تتمتع بحرمة اجتماعية تحرّم تفتيشها والتعرض لها ناهيك عن لبس النقاب والتخفي وإخفاء ما تريد تحت النقاب، والخبر اليقين يكمن عند القاعدة والمخابرات

الاجراءات الأمنية

ويرى محمد فايز – خبير في الشئون الآسيوية في مركز الدراسات الاستراتيجية الذي تواصلنا عبر الفيس بوك أن مهنة النساء في تنظيم القاعدة تتعدد بين جمع الأموال لدعم التنظيم وفي المسائل الدعوية واللوجستية حتى زاد اعتماد التنظيم في الفترة الأخيرة في تنفيذ مهامه وأعماله على النساء بشكل عام

وأشار فايز إلى أن الأعراف الاجتماعية السائدة في الدول التي يتواجد فيها التنظيم بصورة كبيرة ساهمت في تجذير أصول هذا الاعتماد باعتبار المنتميات إلى القاعدة يمثلن حائط صد في إتمام ونجاح مخططاتها لصعوبة إخضاع المرأة للإجراءات الأمنية

ومن جهته يرى الكاتب والمحلل السياسي الدكتور عزيز ثابت أن الضائقة الاقتصادية التي تعصف بمعظم الأسر قد تجعل البعض يرتهن لأي جهة بغية إطعام أسرهن, كما أن نسبة الأمية المرتفعة في صفوف النساء قد تسهم في إغراء البعض، خصوصا إذا اجتمعت الأمية مع الفقر أما من ناحية القاعدة فهم يعرفون خصوصية وضع المرأة في اليمن وحساسية التعامل معها من قبل الجهات الأمنية فمروءة اليمني عسكريا كان أو مدنيا تمنعه من تفتيش أي مركبة تحمل امرأة أو عائلة تحت أي ظرف

إمارات إسلامية

فيما يراه آخرون نهجاً جديداً في استراتيجية تنظيم القاعدة يراد به تتويه قوات الأمن عبر استقطابات جديدة مثل استقطاب النساء أو استقطاب الأطفال للانخراط في التنظيم وكذلك الزج بالنساء في العمليات الانتحارية .. هذا ما يقوله الناشط الحقوقي والمستشار القانوني

البداية زواج من قاعدي.. والنهاية خلف القضبان

المحامي عبدالله الطويلي أنه يأتي ضمن سياسة تتويه تنظيم القاعدة لسلطات الأمن اليمنية بعدما تم دحر تلك الجماعات من عدد من المدن التي سبق وأن قام التنظيم بالتمركز فيها وإعلان قيام إمارته الإسلامية، كذلك بعد تزايد الضربات الجوية الأمريكية على مواقع تابعة لتنظيم القاعدة الإرهابي وعلى قياداته وقيام قوات الأمن بتضييق الخناق على تحركات ونشاط التنظيم، ولا أستبعد الاستقطاب للأطفال على المدى القريب وسيزج بهم في مسارح العمليات الانتحارية ويستفيد منهم التنظيم كوسيلة لتحقيق وتنفيذ أهدافه مستخدمين الخطاب الجهادي وتفسير الدين بما يحقق أهداف ومبادئ التنظيم بحيث تم التركيز على النساء لأنهن أكثر تأثراً لعاطفتهن الجياشة وإحساسهن القوي .

أمران لاثالث لهما

وأوضح الطويلي أن قيام تنظيم القاعدة باستقطاب النساء وبعدهن الأطفال بعد أن استقطب اليافعين منهم في الفترة الأخيرة يوصلنا إلى أحد أمرين: إما أن التنظيم يعيش آخر أيامه وهي تحركات ما قبل الانتهاء حيث يحاول التنظيم أن يستفيد من كل الظروف الممكنة حتى ولو كانت غير شرعية للبقاء أو أن التنظيم يجهز لعودة قوية وبأساليب جديدة ويستغل زوجات وأمهات وأخوات من لقوا مصرعهم من أعضاء التنظيم ومن الضحايا أثناء العمليات العسكرية في أبين وشبوة ورداع وعدد من المناطق يثير التنظيم عواطف أولئك النساء للثأر لأقاربهن الذين قتلوا في تلك الضربات للانضمام إلى صفوفهم !!

وأما وكيل وزارة الأوقاف والإرشاد حسن الشيخ فقد أشار في حديثه إلى أن الضربات الجوية على أسر الأفراد المنتسبين لتنظيم القاعدة سيعقد المشكلة ويزيد من أعداد المنتميات إلى صفوف التنظيم بعد أن تجد المرأة أن أخاها أو أباها أو وزوجها قد لقوا حتفهم.

العلامة علي ربيع يقول: إن تزايد أعداد النساء والمنضمّات إلى تنظيم القاعدة يعود إلى حرص التنظيم على الخطاب الجهادي المثير للغيرة الدينية والتأكيد بأنه لا مخرج للأمة الإسلامية من محنها وعودة فلسطين، لكنها مقاصد في غير محلها لأنها تنتهي بقتل المسلم للمسلم.

رسالة للقاعديات

وفي محطتنا الأخيرة من التحقيق يقدم لنا مدير عام الوعظ والإرشاد بوزارة الأوقاف جبري إبراهيم رسالة خطها بيده لمن تم التغرير بهن قائلا : اعلمن أخواتي الفاضلات أن الجهاد لا يكون بإراقة دم الأبرياء وقتل المسلمين وهدم المنشآت والتستر على الإرهابيين وفي ذلك يقول رسولنا الأكرم: «ألا إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا» وقوله: «لا يرجع بعضكم كفار يضرب بعضكم بعضا»

مختتماً الرسالة مخاطباً المرأة: فأنت الأم والأخت والابنة والزوجة ورسالتك التربوية هي أعظم جهاد تقدمينه فلا تصدنك الهتافات والشعارات الزائفة عن طريق الحق والصواب !!